تلقّي الشّاهد البلاغيّ وأثره في تحديد الأحكام النّقديّة

مصطفى سالمي

طالب دكتوراه ، جامعة الأغواط

تاريخ الإرسال: 2019/07/29	تاريخ القبول: 2020/11/30	تاريخ النشر: 2021/12/15

الملخص:

إنّ الاختلاف طبع في الذّات الإنسانيّة ، فاختلف الشّعراء والأدباء وتفاضل بعضهم على بعض، امتاز بعضهم بالذّوق الرّفيع والحسّ المرهف، وبعضهم الآخر بجزالة اللّفظ وقوتّه. ونشأ عن ذلك كلّه مدرسة نقديّة يتحاكم إليها النّاس في المفاضلة بين شعرائهم وخطبائهم ويفخر بعضهم على بعض.

في هذا الجوّ الأدبيّ والنّقديّ نشأت بدايات العلوم النّقديّة والّتي اعتمدت على التّذوق، وبهذا سجّلوا ملاحظات نقديّة وبلاغيّة ونقّحوا الأساليب.

وكانت منزلة العالم تتحدّد من خلال استحضاره لتلك الشّواهد الشعرية والحجج النثرية وقتَ الحاجة، فهبَّ العلماء إلى جمع الشّواهد والتّنافس في حفظها واستحضارها في كلّ مقام. حتّى أصبحت سمةَ بعض العلماء لكثرة حفظهم للشّواهد ودليلا على إتقانهم وعلمهم، وكما عَني أهل اللّغة بالشّاهد النحوي، فقد عُني بالشّاهد البلاغي عند أهل البلاغة عناية كبيرة بوصفه مطلبا جماليًّا وكان الشّاهد البلاغيّ من مختلف العصور الأدبيّة، لأنّ هناك فارقا دقيقا بين التّوجه اللّغوي الخالص والتّوجه البلاغي، فَتَعامل البلاغيّين كان على أساس الإبداع في المراحل المختلفة دون النّظر إلى قديم أو مُحدث، واعتمدوا في ذلك على حسن الاختيار الذّوقي للشّواهد.

ولما كان الاختلاف في القول كان اختلاف في فهمه وتلقيه وقد تطور هذا التلقي والفهم مع تطور المناهج والآليات والدوافع وعليه اختلف الأحكام النقدية و تباينت وفي هذا البحث نعرض كيفية تلقي الشاهد البلاغي وأثر ذلك التلقي في الأحكام النقدية الناتجة.

الكلمات المفتاحية: الشاهد ، الدرس البلاغي، التلقي ، النقد ، التأويل. التفسير

Summary:

Difference in is a characteristic of the human self. Thus, poets and writers differed from each other. Some of them were characterized by high taste and sense of compassion, and others with the power of the word. This has resulted in a critical school for which people try to make privileges among their poets and their interlocutors.

In this literary and critical atmosphere, the beginnings of sciences of criticism have developed, and have been based on taste. In this way critical and rhetorical observations have been recorded.

–The level of the scholar was determined by the introduction of these poetic evidences and prose arguments in times of need. So scientists gathered to collect evidences and compete in the preservation and invocation in each place. So that some of the scholars have become a feature of their great memorization of the evidence. As far as linguists are concerned about grammatical quoting and rhetorical quoting. Scholars of rhetoric have taken great care of rhetorical quoting as an aesthetic demand when implementing quoting of various literary ages. Pure language was based on creativity at different stages without looking at the old or updated, and relied on the good choice of taste for the evidence. The existence of differences between utterances and understanding led to development of methods and mechanisms in rhetorical research and thus in critical judgments.

تمهيد:

إنّ المتأمِّل في النّقْد العربيّ القديم والبلاغة العربية، يقف على مدى العناية الّتي أَوْلاها النُّقاد والبلاغيّون العرب بالتّلقي. ولعلَّنا نلمس ذلك الاهتمام في أقوال العلماء المبثوثة في مؤلفات النَّقد والبلاغة القديمة مثل :"البيان والتبيين" للجاحظ، و"عيار الشعر" لابن طباطبا، و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني. وقد تنبّه هؤلاء العلماء لعدّة قضايا تتعلّق بالتّلقّي التي عالجتها نظرية التلقي الحديثة، كقضيّة مصاحبة المتلقّي المبدعَ في عمليّة إنتاجه النّصّ، وقضيّة الأثر النّفسي الّذي يتركه النّصّ في متلقّيه.

ويمكن أن نقول أنَّ نظريّة التّلقّي في تراثنا العربي قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالخطاب القرآني؛ إذ كان لعلماء البلاغة الأوائل آراء قيّمة زخرت بها كتب البلاغة ودراسات الإعجاز حول علاقة المتلقّي بالإبداع عامّة وبالخطاب القرآنيّ بشكل خاص، ودوره في الكشف عن أسراره الفنيّة وأبعاده الجماليّة، وكيفيّة تأثره بهذه الأسرار وتفاعله معها، ومدى استجابته لها.

ونتيجة لذلك عمل البلاغيون على تحليل الشواهد القرآنية تحليلا فنيا وبلاغيا، اعتمادا على الشّواهد الشّعريّة القديمة بما يعين المتلقّي على معرفة ما تفرّد به النّصّ القرآنيّ من جمال الألفاظ، وعمق المعاني، وحسن التّأليف، ودقة الصّياغة والتّصوير؛ إيمانا منهم بأن إدراك الإعجاز البلاغي، لا يتم إلا بواسطة استثمار المتلقي لأدواته المعرفيّة واللّغوية من نحو وصرف وبلاغة.

ولهذا كان للشاهد في النقد العربي قديما من أهم الدراسات لما للشاهد من أثر واصح في تأطير الجهود النقدية لعلمائنا الأفذاذ وتوجيه بحوثهم لأنّ قيمة الرأي الذي يبديه الناقد تنبع من استعماله الشاهد بوصفه أداة لإقناع المتلقي فكان من الضروري توضيح دور الشّاهد في تحديد القواعد والأحكام النّقديّة .

مفهوم الشّاهد :

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

الشّاهد لـغـة:

قال ابن منظور : "والشّاهد اللّسان من قولهم لفلان شاهد حسن أيْ عبارة جميلة، قال ابن الأعرابيّ: أنشدني أعرابيٌّ في صفة فرسٍ:

لـَـهُ غـَـائب لـم يبتذلـهُ وشـَـــاهد !!!

قال الشّاهد منْ جَريِه ما يشهد له على سبقه وجودته، وقال غيره شَاهِدُه بَذْلُهُ جَرْيَهُ"[1].

ويقول ابن فارس: "شهد، الشّين والهاء والدّال أصل يدلّ على حضور، وعلم، وإعلام"[2].

وجاء في المعجم الوسيط :"والشّاهد من يؤدّي الشّهادة والدّليل"[3].

الشّاهد اصطلاحا:

الاستشهاد في اللّغة هو إتيان المتكلّم أو الكاتب بشاهد "دليل" يُعَزِّزُ رأْيَه ويُدَعِّمَه"[4].

يقول الشّريف الجرجانيّ في التّعريفات: "وهو في اللّغة عبارة عن الحاضر، وفي اصطلاح القوم عبارة عمَّا كان حاضرا في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره، فإنْ كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإنْ كان الغالب عليه الوُجد فهو شاهد الوجد، وإنْ كان الغالب عليه الحقُّ فهو شاهد الحقِ.."ويقول "..الشّاهد عند أهل العربيّة الجزئيّ الّذي يستشهد به في إثبات القاعدة لِكَوْن ذلك الجزئيّ من التّنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيَّتِهِم، وهو أخصُّ من المثال"[5].

وقال المسعوديّ: "رُوِيَ أنّ الحجّاج سأل سمرة بن الجعد الشّيبانيّ إذْ كان يروي الشّعر فقال: إنّي لأَرْوِي المَثل والشّاهد فقال الحجّاج: المثل قد عرفناه فما الشّاهد؟ قال: اليومُ تكون العَرَبُ من أيَّامها عليه شاهد من الشّعر فإنّي أروي ذلك الشّاهد "[6].

الفرق بين: المثـــال و الشّـاهد :

التّفريق بين ما يندرج تحت اسم المثال والحجّة والاستشهاد إنّما يعود لاعتبارات مختلفة:كنوع النّصّ، ومن أنتجه، والوظيفة المسندة إليه.

فإنْ كان النّصّ نحويًّا فهو لا يقبل كلَّ كلام على أساس الاستشهاد، على خلاف أهل البلاغة، كما يشترط في المرويّات والأخبار القائلَ ومعرفته، ومعرفة زمن حياته إلى غير ذلك من المحدّدات الضّروريّة والمنهجيّة .

وقد يعمد أهل اللّغة إلى الأخذ من الشُّعراء المولّدين من باب الاستئناس لا الاستشهاد والاحتجاج على عكس أهل البلاغة فإنّهم محكومون بالبحث في الأسلوب وكيف نُظِمَ الكلام، فإنْ جاء المولّد من الشّعراء بشعرٍ فيه تركيب رائع وقول مبدع، واستحسنه الذّوق وأَلِفَهُ الطّبع العربيُّ وشدَّ الانتباه فهو شاهد وحجّة عندهم.

فالشّاهد قولٌ عربيّ لقائل موثوق بعربِيّتِهِ يُورَد للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأْيٍ أو قاعدة. أمّا التّمثيل فهو استدلال بالأمثلة والأقوال الّتي لا يحتجُّ بكلامِ أصحابها، والتّمثيل يؤتى به لتثبيت الفكرة وإعطاء مجال للتّدريب والتّوضيح.

ولهذا فإنّ الفرق بين الشّاهد والمثال هو أنّ المثل قول يُورد للتَّمثيل به على حقيقة قاعدة لا التّدليل على صحَّتها أو الاحتجاج على سلامتها، ولهذا قال العيني (855هـ) في التّعليق على رأيِ البصريّين في قول المتنبّي:

هَذِهْ بَرَزت لَنَا فَهِجْتِ رَسِيسَا !!! ثُمَّ انْثَنَيْتِ ومَا شَفَيْتَ نَسِيسَا

وهذا احتجاج وليس تمثيلا في حذف ياء النّداء قبل اسم الإشارة"[7].

يقول التّهانويّ في تعريفه للمثال: "وهو أعمّ من الشّاهد وهو الجزئيّ الّذي يستشهد به في إثبات القاعدة، يعني أنَّ المثال جزئيّ لموضوع القاعدة يصلح لإيضاح القاعدة، والشّاهد جزئيّ لموضوع القاعدة يصلح لأن يُذكر لإثبات القاعدة " ...."وكُلُّ ما يصلح شاهدا يصلح مثالا دون العكس"[8].

وبهذا فكلّ ما يصلح للإثباتِ يصلحُ للإيضاح دون العكس، ولا بدّ أنْ يُعلم أنَّ الشّاهد يجب أنْ يكون نصًّا فيما يُستشهد به ولا يكون محتمِلًا لغيره بخلاف المثال فإنّه يكفيه أنْ يكون محتمِلا لما أوردَ لِتَوْضيحه[9] "ويبدو أنَّ التّهانويّ أراد بالجزئيّ مَوْضع الشّاهد لا الجملة المشتملة على ذلك الشّاهد، سواءً أكانت بيت شعر أم قطعة نثر"[10].

فالشّاهد هو الدّليل على استعمال لغويٍّ معيّن في الدّرس اللّغويّ ليستعين به اللّغويّ على تحليل ظاهرة لغويّة من حيث سلامتها وزمن استعمالها، والشّاهد يشمل كل نصٍّ له مرجعيّة ثابتة مقيّدة بقائل أو غير مقيّدة.

أما المثال فهو القالب الّذي يُقدَّر على مِثْله ما سبق من القول على الشّاهد، وبينهما :

- ✓ دلالات الشّاهد تنحصر في معاني الاستشهاد والإحضار والإخبار وجواز استحضار المختلفات والمتغايرات، بينما دلالات المثال فتحوم حول معاني التّسويّة بين المختلفين أو المتّفقين.
- ✓ معاني الشّاهد أدَلُّ من معاني المثال على الإقناع، وأكثر منه تعبيرا على الحضور اللّغوي، فالحاجة للشّاهد هي التّدليل والتّقعيد، بينما المثال فالحاجة إليه هي التّثبيت.
- ✓ حدود الشّاهد قد تكون أعمّ وأشمل من حدود المثال، لأنّ من معاني الشّاهد الاقتباس، ومن معاني المثال ضمُّ الأشباه والنَّظائر.
- ✓ يكتسي الشّاهد لباس القدسيّة لما له من ضوابط تحدّده زمانا ومكانا ونسبة ودراية، فلا يكون الشّاهد خارج الإطار الزّمانيّ والمكانيّ ويكون مُلْزِما وحُجّةً، أمّا إذا كان مصنوعا غير معروف فهو تمثيل غير مُلزم، و إن كان فيه نوعُ أو صفةُ الحُجِيَّة[11].

أنواع الشّواهد:

تنقسم الشّواهد حسب موضوعها أي الموضوع الّذي تَرِدُ فيه إلى ثلاثة أقسام:

الشّاهد النّحويّ: وهو ما استشهد به النّحويُّون في بيان تركيبٍ أو بُنْيَةٍ، ولبيان قاعدة أو تأكيدها أو إيراد ما استُثْنِيَ أو خَرَجَ عَنها. فالنّحاة العرب نظروا في كلام العرب واستخلصوا القواعد الّتي يسير عليها و أدرجوها في مصنّفاتهم ولهذا أَتْبَعوا كل قاعدة شاهدا من القرآن الكريم أو الحديث النّبويّ الشّريف أو من كلام العرب شعره ونثره.

الشّاهد اللّغويّ: وهو ما استشهد به العلماء ممّا ورد عن العرب في استعمال لفظة ما من حيث:

- ✓ علاقة اللّفظ باللّفظ: وهو ما يتعلق بالمقارنات بين العربيّة والسَّاميّة مثلا.

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

- ✓ علاقة اللّفظ بالمعنى: وهو ما عني به أصحاب المعاجم.
- ✓ علاقة اللّفظ بالاستعمال: وهو ما عني به العلماء حول الغريب والدّخيل والموضوع ....[12].

الشّاهد البلاغيّ : وهو كل ما يَستشهد به البلاغيّون من آيِ القرآن الكريم والأحاديث النّبويّة وكلام العرب نثرا أو شعرا، لتوضيح وبيان قاعدة بلاغيّة[13].

وقد استخدم البلاغيّون الشّاهد لإعطاء الأدلّة على الموضوعات والأساليب الّتي كانوا يجمعونها تحت مسمّى علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع.

ولكن هناك فروق بين الشّاهد النّحويّ والبلاغيّ حدّدها منهج وغرض كلِّ علم.

الفرق بين الشّاهد البلاغيّ والشّاهد النّحويّ:

وتُحدّد هذه الفروق من خلال: التّحديد الزّماني والمكاني، والوظيفة، والمجال الّذي يستعمل فيه "مجال الاستدلال" ويتّضح ذلك في النّقاط التّالية:

الشّاهد البلاغيّ لا تحدّه حدود لا في نوعه "نثري أو شعري أو قرآني أو من حديث رسول الله صلوات الله عليه" ولا في زمن الاحتجاج به، ولا في طريقة تحليله لأنَّ الهدف من هذا الفنِّ "البلاغة" هو تربية الذّوق، يقول عايد سليم الحربي: "إنّ لشواهد البلاغة أهميّة كبيرة في تذوّق أسرارها واستكشاف دُرَرِها، وتفيُّءِ ظلال البيان في أعلى مراتبها"[14]، وإذا رجع أهل اللّغة إلى الأخذ عن المولّدين مثلا فذلك من باب الاستئناس لا الاستشهاد، وكأنّ حالهم تقول: "هذا وإنْ كان بعيدا عن اللّغة الأصل ومنبع الفصاحة والبلاغة إلّا أنّه جاء بمثل ما يقولون، وهو للتّرويح عندهم لا غير".

أمّا أهل البلاغة فإنّ منهجهم وغرضهم من الموضوع غير منهج وغرض أهل النّحو فالبحث عندهم يدور بَيْنَ الأسلوب ونظم المفردات فلا يهُمُّهم زمان ولا مكان ولا درجة القائل بقدر القول.

والشّاهد البلاغيّ يمتاز عن غيره بميزات ترجع إلى وظيفته والمجال الّذي يتحرَّك فيه، أمَّا وظيفته فهي الكشف عن الجوانب الفنيّة، والأبعاد الدّلاليَّة لتركيب الجمل، ومن هنا يجب أن تكون النّظرة إلى الشّاهد غير موحَّدة بل متجدّدة مع كلِّ دراسة.

كما أنَّ مجال الشّاهد البلاغيّ أرحب و الاختيار فيه أوسعُ أفقا، فهو يشمل كلام خُلَّص العرب والمولّدين بينما ينحصر الشّاهد النّحويّ واللّغويّ على فترة و رُقعة محدّدتين[15].

مراحل التّأليف النقدي

إنّ ما وصل إلينا من أدب الجاهليّين شعرا كان أو نثرا يَشهد لهم بامتلاك ناصيّة القول، والافتنان في أساليب التّعبير على سجيّة ودون تكلُّف، حتّى جعلوا تمام المروءة معلّقا باللّسان والقلب، فكان من أمثالهم المشهورة: "المرء بأصغريه قلبه ولسانه"[16] ولمّا كان هذا أمرهم دُفع الشّعراء إلى تهذيب وتنقيح الألفاظ وإصابة المعاني لتكون أقوى تأثيرا في النّفس، وربّما ظلّ الشّاعر حولا كاملا عاكفا على قصيدة ليخرجها في أحلى حلّة وأتمّ معنى، ويبلغ بها مبلغا من الكمال. بل صار الشّعر مدارس يَنقل المسبوق عن السّابق شعره ويتدارسه ويتمثّل منهجه.

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص: 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

ولمّا كان الاختلاف طبعا في الذّات الإنسانيّة اختلف الشّعراء وتفاضل بعضهم على بعض، فامتاز بعضهم بالذّوق الرّفيع والحسّ المرهف، وبعضهم الآخر بجزالة اللّفظ وقوتّه. ونشأ عن ذلك كلّه مدرسة نقديّة يتحاكم إليها النّاس في المفاضلة بين شعرائهم ويفخر بعضهم على بعض.

في هذا الجوّ الأدبيّ والنّقديّ نشأت بدايات العلوم النّقديّة والّتي اعتمدت على التّذوق، وبهذا سجّلوا ملاحظات نقديّة وبلاغيّة ونقّحوا الأساليب.

بدأت الدّعوة المحمّديّة، وبدأ معها أخذٌ جديد لمفهوم الشّعر والأدب بصفة عامّة، فأخذت المعاني حلّة جديدة من الألفاظ واستُعمل اللّفظ أحيانا لغير ما وضع له، وكثر اعتناق النّاس للدّين، منهم من تمكّن من اللّسان العربيّ فتحدّث به، ومنهم من ابتعد عنه فلحن.

وكان القرآن الكريم أهمّ عامل أدَّى إلى إنّماء الملاحظات البلاغيّة، فجاء بالأسلوب الجديد في اللّسان العربي والاستعمال اللّفظي والإبداع المعنوي متحدّيا بذلك أهل الفصاحة والبلاغة من العرب.

وكان الوصول لفهم القرآن الكريم أهمّ بل أوّل دافع للبحث في الدّرس اللّغوي، فتنبّه العرب إلى تلك الميزات البيانيّة والبلاغيّة الّتي تفرّد بها القرآن، فألّفوا في معاني القرآن ومجازاته، وقد عقدت المجالس الأدبيّة والمناظرات العلميَّة مُبَلْوِرَة للدّرس البلاغيّ في بداياته، ومؤكّدة اهتمام العرب بالشّعراء والخطباء.

ومع تقدّم الزّمان قليلا واختلاف النّاس في سياساتهم وتفكيرهم وعاداتهم ظهرت المَدَنِيَّة بما تحويه من أفكار ومبادئ مختلفة عن ما سبق وأن عايشه العرب، وهو الأمر الّذي دعا العربيّ إلى تغيير نمط تفكيره أيضا مسايرة لما ظهر.

ودخل الإسلامَ مِلَلٌ ونِحلٌ، ولكلّ ملّة ونحلة تفكير وعقيدة، ومُدافع ومُنافح، فظهر المتكلّمة والفلاسفة، ونشأ صراع فكريّ دينيٌّ جرَّ معه البحث اللّغويّ والأدبيَّ ولبس رداءه، وكان ممَّا تناولته هذه الفروق فكرة الإعجاز القرآني كلٌّ يدَّعي الدّفاع عنها، وبهذا الاختلاف عرف الدّرس البلاغي على الخصوص تطوّرا مرموقا كونَه متعلّقا بفكرة الإعجاز القرآنيّ، فكان المنطلق واحدا عند هذه الفرق، والغاية متعدّدة. فتعدّدت معها الأساليب والمناهج والأدوات.

فكان أوّل ما عرف الدّرس البلاغي هو ما كتبه بِشر بن المعْتَمر المعتزلي وهي صحيفة يعرض فيها قضايا أساسيّة في البلاغة. وكانت نقطة بداية للدّراسات اللاّحقة.

وقد تطوّرت الدّراسات بتطوّر الأدوات والمناهج وأرّخ العلماء لهذه الدّراسات وقسّموها حسب التّناول أو المنهج والإطار العام لكلّ دراسة، وقد اتّفق المؤرّخون لعلوم البلاغة على تقسيم فترات الدّرس البلاغيّ وأطواره إلى ثلاث مراحل، واختلفوا في تسميّاتها وإنْ كانت العبرة بالموضوع لا بالتّسميّات. وقد حَاولنا أن نجعل الجرجانيّ مَرْجعا لتقسيم فترات وأطوار البحث والدّرس والتّأليف البلاغيّ، فجعلناها ثلاث مراحل وهي:

مدرسة ما قبل الجرجانيّ: التّأليف الأوّلي ، البحث والجمع

تعتبر هذه المرحلة أقلّ المراحل وضوحا وأكثرها استعْصاءً على الضّبط الدّقيق لأنّها تمثّل طور نَشْأَةِ العلمِ وبداية التّعرّض لمسائله المختلفة، وليست هذه الصّعوبة خاصّة بالبلاغة دون باقي العلوم، فلقد واجهت المشتغلين بتاريخها

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

عَقَبات ولاقَوا المشاكل نفسها في تحديد أوائلها وتكاد تكون الأسباب نفسها.فمنها ما يمكن أن نسمِّيه مبْدَئيا يتعلق برؤية المصادر الّتي تعتمدها وقد يشترك فيها عِلْمَان أو أكثر في قضيّة النّشأة، فلا يمكن القول بأن عِلْما نشأً وتولّد عفويّا في لحظة من لحظات التّاريخ على يد شخص معيّن دون أن نشير إلى ما سبق ذلك من عوامل مكَّنَت العلم من التّبلور في مرحلة من المراحل.

وقد وَصَلَنا من المؤلفات الواضحة الصّلة بالبحث البلاغي هي في الحقيقة كُتبت في أغراض صلتها بالبلاغة صلة عَرْضيّة فجاءت مسائلها على غير نظام وكثيرا ما وقفت عند حدّ الإشارة واللّمحة[17].

فكان الكلام فيها غامضا في أوصاف الشّعر وبلاغة الكلام وكانت الكلمات في غموضها تُشبه لغة خاصّة تواضع عليها رجال ولا يفهما إلّا من كان في طبقتهم.

مدرسة عصر الجرجانيّ: الذّوق والإبداع أو الجرجانيّ ما بين الإبداع والتّوجيه

لقد بدأت بعد الجاحظ مرحلة جديدة من مراحل البحث البلاغي في القرن الثّالث الهجري، وهي مرحلة الاستقرار للدّرس البلاغي، بعدما تبلورت علما مستقلًّا له أصوله وقواعده العلميَّة الخاصّة، وإن كان كتاب البديع لابن المعتز (296ه) يعتبر بداية الاستقلاليّة للدّرس البلاغي، ليبلغ قمّة نضجه وازدهاره على يد الجرجانيّ في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

لقد كان الجرجانيّ وحده جيلا وعصرا ومرحلة، وقد كشف ضباب هذه اللّغة فجمع كلام البلغاء الّذي يمثِّل الجاحظ قمّته، مع علم معاني النّحو الّذي يمثّل سيبويه قمّته، وجاهد في تفسير هذا بذاك حتّى أضاءت الكلمات فأعاد الحياة للنّحو بجمعه مع البلاغة[18].

وقد انطلق الجرجانيّ واضعا لنظريّة النّظم مستهديا بما قاله عبد الجبّار المعتزلي من قبله متّبعا إيّاه في إثبات أنّ البلاغة والبيان أمر يتّسع للمعجزات ويقبل العقل قبل أنْ يتّصل به الإعجاز، وفي ربط البلاغة بالنّظم بمعنى تأليف الكلام[19].

في هذا السّياق الّذي أصبحت فيه الدّراسات البلاغيّة تقوم على أصول محدّدة وقواعد ثابتة، وتُعنى بالابتعاد عن التّعميم وتهتمُّ بمعالجة التّفاصيل ونقد النّصوص، أَلَّف الجرجانيّ كتابين في البلاغة، وقد استطاع بذوقه المرهف وحسّه الصّادق وملكته الأصيلة أنْ يفيد ممَّا ذكره سابقوه من أعلام البلاغة كالجاحظ والقاضي عبد الجبّار وابن رشيق وأبي هلال ... وأن يُبَيّن مفهوم النّظم ويوضح معالمه ويبسط قواعده مستشهدا في إبراز ذلك كلَّ ما وعاه من الشّاهد العديدة وتحليلها، وقد وضَّح أنّ المزيّة لا ترجع إلى الألفاظ المجرّدة ولا إلى المعاني العامّة أو المعاني اللّغويّة بالألفاظ، وإنّما ترجع إلى النّظم الّذي هو توّخي معاني النّحو[20].هذا على مستوى التّصور العام، أمّا على مستوى القضايا فهناك قضيّتان كانتا تشغلان الدّرس البلاغي، وهما قضية النّظم وسرّ تأثيره في النّفوس[21].

مدرسة ما بعد الجرجانيّ: التّقنين والتّقعيد أو الوجه المنطقي للدّرس اللّغوي

وفي القرن السّادس الهجري حدث تراجع رهيب وضعف كبير للأدب والحسّ الجماليّ له "وغاض معين الطّبع والذّوق وانفضَّتْ أسواق الشّعر ونواديه ... وتعطّلت أوتاره وآلاته، وأصيبت اللّغة بالجفاف ..."[22]. ولهذا مالت البلاغة

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

إلى التّقنين والتّقعيد لأنّ المقاييس الفنيّة الّتي كانت مستعملة في الدّرس البلاغي قبل هذا العصر لم تعد تلبِّي حاجة الأدب فكانت الحاجة للتعليميّة أكثر من أيِّ شيء آخر، " فبيئة السَّكَّاكِيّ كانت تطلب معايِير محدّدة تحديدا منطقيّا تُعين الطّالب على إدراك الخطأ من الصّواب قبل مرحلة التّذوق الفنّي الّذي هو مَسيس الحاجة إلى طبع مستقيم وسليقة عربيّة رائدة أو إلى قاعدة مُعيّنة معلِّلة"[23].

لقد عاش السَّكَّاكِيّ في بيئة مشحونة بالصّراعات السّياسيّة والفكريّة والثّقافيّة تميّزت بنشاط وحيويّة ومعالجة أهمّ قضايا الفكر عند علماء العرب ومنها قضيّة الإعجاز القرآني مع إعطاء الصبغة المنطقيّة لجميع العلوم لاشتهاره وتفنّن النّاس فيه، وبيئة السَّكَّاكِيّ الّتي نشأ فيها تختلف اختلافا جوهريا عن بيئة الجرجانيّ وإن كانا من الطينة نفسها – خوارزم– وهي أيضا منشأ الزَّمخشري والرّازي .

فضعف البيئة الأدبيّة في عصر السَّكَّاكِيّ كان سببا في تحوّل البلاغة إلى المقاييس العلميَّة حيث أراد السَّكَّاكِيّ التّصدّي لهذا الضّعف ومواجهته بما يعصم المتكلّم من الوقوع فيه، فمالت البلاغة إلى الاتجاه التّعليمي القائم على مقاييس علميّة منطقيّة وعلى تبويب القواعد وترتيبها بما يعين على الحفظ والتّطبيق، فالسَّكَّاكِيّ إذن لبَّى حاجة ملحّة لأهل عصره بطلب من أذكياء قومه مجيبا لتطلّعاتهم بما يخدمهم من النّاحية التّعليميّة. فهل بعد هذا نصفه بالجمود والابتعاد عن الذّوق؟ هذا لا يكون أبدا لرجل فهم كتابات الجرجانيّ ووعاها وجعلها نِبراسا، ومن فعل ذلك غير الرّازي والسَّكَّاكِيّ والقزويني الّذين تتجه إليهم سهام الاتّهام بالجمود والضّعف وذهاب الذّوق، ولكنّه سلطان العصر ورغبة أهله.

بـدايــات الاستشـهــاد[24]:

الّذي ينظر في عقليّة العربيّ وتاريخه مع البيان يفهم جيّدا الأساس الّذي قام في عقليّته حول التّواصل فهو نفعيٌّ بالدّرجة الأولى فكل إنسان يفهم الآخر بل ويُقيم عليه الحجّة انطلاقا من مرجعيّة مشتركة بينهما تتمثّل في تصوّر مشترك في العالم الخارجي، ومن ذلك نفهم الشّارع الحكيم حين أقرَّ الحجّة على الّذين كفروا برسلهم وذلك حين خاطبهم بما يفهمون. وبذلك نفهم أيضا الشّاهد في استعانة العرب بالشّعر لأنَّه كان يمثِّل المحاورة، بينما جاءت الشّريعة بالحجّة القاطعة وتحقيق ما يناسب هذا الكلام قبل نزول القرآن الكريم.

وتَكْمُن أهميّة الاستشهاد في تحقيق الإقناع وإزالة الشّك، فعندما يشعر القائل بوجود شكٍّ ما في ما يقولُ أو يكتبُ في ذهن المتلقّي يدفعه ذلك إلى الاستشهاد لإزالة ذلك الشّك ورفع نسبة التّصديق. والعلماء يميلون إلى قبول القاعدة الرّاسخة الّتي تعتمد على وفرة الشّاهد وصحَّة روايتها[25].

ولكن تقديم البرهان والشّاهد ليس لكلّ الأحكام والقواعد ويدلّ على ذلك خلوّ الكثير من القواعد والمسائل والآراء من الشّاهد، لأنّ الأحكام والمسائل ليست على سواء، فمنها ما هو بديهي يدركه الجميع وليس غريبا عليهم أو من القواعد الأصلية الّتي كان النّحاة يمسكون عن الاستشهاد بكلام العرب عليها كرفع الفاعل، واسميّة المبتدأ ... لأنّهم يعدُّونها من الأمور البديهيّة المتّفق عليها في النّحو وليست الأحكام كلّها بديهيّة بل الكثير منها يحتم وجود حجّة وبرهان ودليلا لفهمه وتوضيح علله، والشّاهد هو الأساس الّذي تُبنى عليه القواعد والأحكام النّحويّة، ويلحظ اهتمام النّحاة بالشّاهد من لَدُن سيبويه والمبرّد وابن السّراج وغيرهم.

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

وللشّاهد في العلوم قاطبة مكانة رفيعة، به تثبت الأحكام وعليه يترتّب القبول والرّد، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأل عن معنى "تخوّف" قام شيخ من هذيل فقال: "هذه لغتنا يا أمير المؤمنين، التَّخوّف: التّنقص. فقال عمر: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فقال: نعم، قال شاعرنا:

تَـخـوَّفَ السَّيْـرُ مِنْهَا تـامِكًـا قَــرِدًا !!! كمَـا تَـخَوَّفَ عُـودَ الـنَّبْعَـةِ السَّـفَـنُ

فلم يكتف عمر رضيّ الله عنه بجواب الأعرابي، إنّما طلب دليلا على صحَّة ما ذهب إليه ولذلك قال عمر رضي الله عنه: "أيّها النّاس عليكم بديوانكم لا يضلّ، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهليّة فإنّ فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم"[26].

وسار على نهجه ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: "الشّعر ديوان العرب فإذا خفيَ علينا الحرف من القرآن الّذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فتلمّسنا معرفة ذلك منه"[27]، أي طلبنا لها دليلا وشاهدا.

ومن هنا أصبح من يأتي بالشّاهد خارجا عن حدود المساءلة فالشّاهد لسان صاحبه وحجّته ولذلك قال الجاحظ: "ونحن حفظك الله إذا استنطقنا الشّاهد وأَحَلْنا على المثل فالخصوصيّة حينئذ إنّما هي بينهم وبينها"[28].

وكانت منزلة العالم تتحدّد من خلال استحضاره لتلك الشّاهد والحجج وقتَ الحاجة فهبَّ العلماء إلى جمع الشّاهد والتّنافس في حفظها واستحضارها في كلّ مقام. حتّى أصبحت سمةَ بعض العلماء لكثرة حفظهم للشّواهد ودليلا على إتقانهم وعلمهم، وكما عَني أهل اللّغة بالشّاهد فقد عُني بالشّاهد البلاغي عند أهل البلاغة عناية كبيرة بوصفه مطلبا جماليًّا وكانت الشّاهد البلاغيّة من مختلف العصور الأدبيّة، لأنّ هناك فارقا دقيقا بين التّوجه اللّغوي الخالص والتّوجه البلاغي، فَتَعامل البلاغيّين كان على أساس الإبداع في المراحل المختلفة دون النّظر إلى قديم أو مُحدث، واعتمدوا في ذلك على حسن الاختيار الذّوقي للشّواهد.

فــوائـد الاســتــشــهــاد:

الشّاهد هو العصب للعلوم العربيّة في مرحلة التّنظير، وهو المادّة في مرحلة التّقنين، والشّاهد ثروة وتراث حضاريٌّ للأمّة لا يمكن تجاهله فضلا عن التّفريط فيه لأنّه مرتبط بثقافة الأمّة.

وقد أخذ الشّاهد مكانة متميّزة في الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة بسبب ما يؤدّيه من وظائف استثمرها العلماء والنّقاد في إثبات أفكارهم وتقويّة حُججِهم في القضايا النّقدية المختلفة الّتي يتعرّضون لها في مصنفاتهم فكان الشّاهد بأنواعه يستحضر لإثبات ذلك كلّه، وقد قيل إنّ عمر بن الخطّاب ما كان أبرم أمرا إلّا تمثّل بشاهد من الشّعر للقطع في الأمر والاحتجاج له[29].

وما دامت هناك شركة بين المفهم والمتفهّم فإنّ كلّ دراسة جادة ويقظة لكلّ قصيدة أو أيّ عمل أدبيٍّ آخر قديمًا أو حديثًا تكون من تمام العمل الأدبيّ نفسه، ولو استطعنا أن نجمع كلَّ الشّاهد ونشرحها ونجمع ما كُتب عنها لكان ذلك ما يكشف عن جوانب الصّنعة وإحياء للأدب، وبهذا تكون هذه الشّاهد مبيّنة مفهمة لما حَوَتْه من أسرار ومعاني.

كما أنّ للشّواهد المختارة والمحكمة فوائد نجملها في:

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

- ✓ تقديم الحجيّة من طرف المتكلّم في الشّاهد الّذي يدعّم به رأيه، فيكون التّأثير في المتلقّي أكثر من عدم وجود شاهد، هذا التّأثير يسوقه نوع الشّاهد فالشّاهد القرآني ذو منزلة عند المتلقين لِقُدُسِيَّته والشّاهد الشّعري إذا كان صاحبه صاحب مكانة في الشّعر أضفى على شعره هالة من التّعظيم، وبهذا التّأثير ينجح المتكلّم في استمالة القارئ لفكرته.
- ✓ الشّاهد المختارة تحمل في مضمونها معاني راقية، وتظهر في شكلها بناءً متميّزا فهي تجمع بين جمال اللّفظ وحسن العبارة، أو كما يقال: "وَشْيُ الكلام وَجَوْهَرِ اللّفظ وَحُليّ المعاني"[30].
- ✓ برهان على الأمانة ودليل على تواضع الكاتب، وفي الاعتماد على السّابقين تأكيد على فهم ومراجعة الأقوال فهمًا يُتيح التّصرف في كلامهم باستعماله أدلّة وبراهين.

التّمسّك بالنّموذج والشّاهد والمحافظة عليه:

لم يأخذ مصطلح الشّاهد حيّزا محدّدا ولم يكتسب تعريفا ثابت لأنّ العلماء والنّقاد في تلك الحقبة لم يلتفتوا إلى دراسة الظّواهر النّقدية لاشتغالهم برواية الشّعر وتصنيفه في مؤلفات خاصة مصحوبا بالنُّتَف النّقدية والأحكام الأولية.

وعدم شيوع المصطلح لا ينفي وجوده في واقع النّقد العربيّ القديم أي قبل التّدوين وقد تحوّلت القضيّة من النّاحيّة اللّغويّة البحتة مع النّحاة إلى النّاحية المعنويّة الجماليّة مع البلاغيّين فخرجت المسألة من علم اللّغة إلى الأدب والنّقد الأدبي، وإنْ كان البلاغيّون والنّقاد لم يتكلّموا في دراساتهم عن الشّاهد بوصفه مصطلحا استدلاليّا أو تمثيليّا فإنّ الشّاهد قد جاء عندهم ليدلّ على السّمة الثّقافيّة المكوّنة لشخص معيّن، فالشّاهد كما ذكر الشّريف الجرجانيّ: "هو عبارة عمّا كان حاضرا في قلب الإنسان وغلب على ذكره" فالإنسان إنّما يذكر ما كان حاضرا في ذهنه وكان جزءا أساسيّا في بنائه الثّقافي والمعرفي ولهذا لم يحدّد البلاغيّون الشّروط الزّمانيّة والمكانيّة للشّواهد إنّما النّاس فيه سواء "فالمولّدون يُستشهد بهم في المعاني كما يُستشهد بالقدماء في الألفاظ"[31].

والشّاهد في الدّراسات الأدبيّة لا يأتي إلاّ لتوفّرَ جوانبَ مطلوبة فيه كالحكمة أو الجمال أو المعنى اللّطيف أو العبارة المُستعْذَبة، وقد أشار السّيوطي لهذا إذْ قال في مقدِّمة شرحه لشواهد المغني: "إذ يُطلب في الشّواهد فوائد ولطائف يُبهج النّاظر حسن نظمها ... كونها مستعذبةَ النّظم مستحسنة المعنى لاشتمالها على الحكمة أو المثل أو النّادرة أو وصفٍ بليغٍ"[32].

ومن غريب الأفكار في الشّعر أنّ الفكرة متلبّسة مكسوّة مصنوعة في نفس الشّاعر ساكنة فيه، فليس قولَ أحد العلماء بفكرة فيه بدعٌ من القولِ خرج عنده، ولكنَّ العلماء تفطّنوا دون الرّجوع لبعضهم إلى هذه الأفكار في الشّعر ليس لأنّهم اتّبعوا منهجا واحدًا بل لأنّ الشّعر متلبّس بهذا والفكرة ساكنة فيه، وكل من يحسن تدبّر الشّعر يعرفه وكلّ عين تتجوّل في البيان تدرك هذا الّذي هو فيه والّذي بُنيَّ عليه[33].

والفكرة لا تُولد إلاّ في سياق والسّياقات حافلة مختلفة حاشدة ولا مفرَّ من أن يجريَ في الفكرة شَوْبٌ من السّياق الّذي وُلِدَت فيه[34]. فما الأسباب الكامنة وراء التّمسُّك بالنّموذج؟

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

هل الأمر عائد إلى تداخل الدّين مع الظّواهر الثّقافيّة والاجتماعيّة ممّا ترتّب عليه اتّباعيّة أخذت بُعْدا نفسيّا انفعاليّا تجلّى في ظاهرة رفض الجديد والحذو على مثال الأقدمين؟[35]. أم الأمرُ عائدٌ إلى هيمنة التّراث الفقهي في المجتمع الإسلامي وإسهامه في تشكيل العقل العربي ذاته إلى جانب علوم اللّغة كأوّل عمل علميّ قام به العقل العربيّ؟.

ومن المنتظر بعد هذا أن تكون المنهجيّة الّتي اتّبعها اللّغويّون والنّحاة الأوائل وكذلك المفاهيم الّتي استعملوها والآليّات الذّهنيّة الّتي اعتمدوها أنْ يكون ذلك كلّه أصلا يعتمده مؤسِّسُو العلوم الإسلاميّة أو على الأقل يشقُّون منه طريق عملهم إنْ لم يَنْسُجوها على منوالهم[36].

وقد ينظر المهتمّون بالنّتاج الأدبي نظرة مزدوجة لهذا الإنتاج باعتباره غاية ووسيلة معا، أي أنّه كان يقصد لغيره بهدف الإفادة منه في فهم القرآن و اكْتِنَاه أسراره، كما يقصد لذاته بهدف الكشف عن معانيه واستجلاء غوامضه[37].

أهميّة الشّــاهد في الدّرس اللّغوي:

إنّ دراسة الشّاهد أمر ضروريٌّ في ترسيخ الأصول والقواعد، وهذه الدّراسة تجعل الدّارس يقف على كلّ جوانب القضيَّة وملابساتها ممّا يساعد على فهمها وثباتها في الأذهان. إذن: تكمن أهميّة الشّاهد في أمرين: **تحقيـــق الإقنـــاع و إزالـــة الشـَّــك**

فعندما يشعر الدّارس بوجود شكٍّ فيما يقول أو ما يكتب في ذهن المتلقّي يدفعه ذلك إلى طلب شاهد يختاره اختيارا لدفع الشك عند المتلقّي ورفع نسبة التَّصديق عنده لكن تقديم الشّاهد ليس ضرورة منهجيّة دائما وفي كلِّ مقال، فمن القواعد والأصول هي مسلّمات إدراكها مطَّرِد عند النّاس وليست بغريبة ولا تحتاج إلى قول أو شاهد يدافع عن أصليّتها وأحقيّتها لبديهيّتها واتّفاق النّاس عليها.

لكنّ الحكم النّحويّ من مرحلة النّضوج لم يعد مسلّما به وبذلك لا سبيل لإظهار حجّة أي اتجاه نحويٍّ إلاّ من خلال الإكثار من البراهين والعلَلِ المؤيّدة لهذا الاتّجاه[38]، ولا سبيل لذلك إلاّ من خلال الشّاهد والاستشهاد.لذلك برزت أهميّة الاستشهاد في النّحو في مجالين "التّوظيف والبحث ففي مجال التّوظيف كان النّحاة مُهْتمّين به حتّى قيل: "إنّ الشّاهد في علم النّحو هو النّحو"[39]. وإنّ أسلوب معاملة الشّاهد واستخلاصه من لغة العرب هو منهج نحويّ[40].

وسمة أخرى تؤكّد اهتمام النّحاة بالشّاهد في مجال التّوظيف هي مراعاة منزلة الشّاهد عند الاستشهاد فيقدّمون الشّاهد القرآني على غيره في مسائل كثيرة لأنّ القرآن يُعدّ أبلغ كلام وأوثق نصٍّ عرفته العربيّة ويُخاطِب العرب بلغتهم[41].وهم عندما يقدّمون الشّاهد لا يكتفون بذلك بل يلجأون إلى شرحه وتوضيح ما غمض منه وفيه تحقيقا لمهمته.

أمّا في المجال الثّاني وهو مجال البحث فقد أبرز الباحث محمّد عيد أهميّة الشّاهد والجهود المبذولة في مجاله من أهمّ المصنّفات في مضمار شرح الشّاهد[42]. إذ تفطَّن العلماء قديما إلى أهميّة دراسة الشّاهد وبخاصة علماء النّحو الّذين عكفوا على أهم الكتب النّحويّة يشرحونها تارة ويدرسون شواهدها تارة أخرى، ومن بين أهم الكتب الّتي عكفوا عليها: الكتاب لسيبويه الّذي بلغت شروح شواهده ما يقرب عن أربعة عشر شرحا، ويمتلك الشّاهد حضورا متميّزا في عمليات الجدل والاحتجاج الّتي تأجّجت عند المتكلّمين الّذين اشتغلوا بالدّفاع عن العربيّة ضدّ الشّعوبيّة فنجد الجاحظ

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

يقول: "متى أخَذْتَ بِيَدِ الشّعُوبيّ فأدخلته بلاد الأعراب الخلّص ومعدن الفصاحة التَّامَّة وَوَقفته على شاعر مفلقٍ أو خطيب مُصقعٍ عَلِمَ أنّ الّذي قُلْتَه هو الحقّ وأبصر الشّاهد عينا[43].

كان الشّاهد بصفته الاستدلاليّة الاحتجاجيّة محور حديثهم ودفاعهم وعليه اعتمادهم، وإلى هذا أشار ابن رشيق القيرواني: "وكلَّما أكثرت من الشّاهد فإنّما أريد بذلك تأسيس المتعلّم وتَجْسِيرَه على الأشياء الرّائقة"[44]. في هذا السّياق العام نشأ الشّاهد البلاغيّ قرينا للشّاهد النّحويّ، رغم اختلاف الغرض الّذي يحدِّده موضوع البحث.فالشّاهد النّحويّ وظيفته تتمثّل أساسا في الحجيّة والاستدلال. والشّاهد البلاغيّ وظيفته تقديم الأمثلة على المواضيع البلاغيّة المدروسة.

"ما دام أنّ البلاغة هي: الكيفيّات الّتي تعارف عليها فصحاء العرب فكان كلامهم أوقع من كلام عامّتهم وأنفذ في نفوس السّامعين وعلى ما شابه تلك الكيفيّات ممّا ابتكره المزاولون لكلامهم وأدبهم وعلى ما يحسن ذلك ممّا وقع في كلام العرب وابتكره المُولَعون بلسانهم يُعَدُّ بلوغا من المتكلّم إلى منتهى الإفصاح عن مراده"[45].

هذا كلام الشّيخ الطّاهر بن عاشور شيخ البلاغة في عصره يدلّ صراحة على أنّ البلاغة علم يهتمّ بالكيفيّة الجماليّة المؤدّية إلى منهج الإفصاح عن المراد وليس ضبط قواعد الكلام والمفردات وفقا لما جاء عن العرب وعدم الخروج عليه، فهذا هو المراد من البلاغة وبهذا يكون الشّاهد الشّعري أو النّثري المقدّم والمحتجّ به في الدّرس البلاغي متّصفا بهذه الأوصاف وإنْ بَعُد زمنه واتّسعت رقعته الجغرافيّة، وسواء كان من أفواه أهل الإبداع من الأوائل أو مبدعا من مبدعِي عصرنا وزماننا فالشّاهدُ البلاغيّ هو كلّ كلام خرج مخرج الإبداع في أسلوب رائق وذوق رائع يُظهر أحدَ فنون البلاغة أو أفانينها في قالب جديد.

والعلّة في ذلك أنّ البلاغة لا تبحث في الألفاظ والقواعد وإنّما تبحث في المعاني الّتي يرجع أمرها إلى العقل.

أمّا من ناحية المجال فإنّ الشّاهد يتحرّك في مجال أوسع في مجال البلاغة منه في غيرها من المجالات الأخرى لأنّه كسر حاجز التّقييد الزّماني والمكاني وفتح باب الإبداع والذّوق المرهف والتّراكيب والأساليب وهي في كلّ زمان وكلّ مكان لا تنعدم ما دام هناك كلام يقال وخطابات تُرصَف.

ومن هنا لم تكن النّظرة موحدّة إلى هذه الشّواهد خلافا لما عليه الأمر لشواهد النّحو واللّغة والتّفسير، بل كان الشّاهد البلاغيّ يتّسمُ بالتّنوّع والتّمايز في بعض الأحيان خاصّة أنّ المُحدَثِين عُرفوا في هذا الجانب بلطائف تدقيقهم وطريف معانيهم وإصابة تشبيههم وصحّة استعاراتهم[46].

بالإضافة إلى المنهج وارتباطه بطبيعة الموضوع فلا يجب أنْ نَتَنَاسى أنّ العرب أمّة جُبلت على ذكاء القرائح وفطنة الإفهام، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم وبخاصة كلام بلغائهم ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلّمين على إفهام السّامعين كما يقال: لمحة دالّة[47].

ويجب أن نؤكّد على أنّ المقامات والأزمنة والبلاد قد تختلف فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشّعراء الحذّاق تُقابل كل زمان بما اسْتُجيدَ فيه وكَثر استعماله عند أهله[48].

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

فعبّر الشّاهد البلاغيّ عن جانب وظيفيّ في التّعبير عن شؤون النّاس الاجتماعيّة والنّفسيّة والحضاريّة، فجميع الشّاهد تؤول إلى الإمتاع المفيد الباقي للفرد والمجتمع وتقديم الخدمة الهادفة، حيث جاءت مضامينها معبّرة عن حياة النّاس وهمومهم وتطلّعاتهم[49].

وقد استُخدم الشّاهد البلاغيُّ بعلامات ناتجة عن اهتمامات الأفراد والجماعات وحاجيّاتهم ونِزاعاتهم وكان هذا العُنصر من العناصر الّتي حدّدت وجهة الشّاهد ونوعه وتركيبه، ومدى تأثير وتوظيف مضمونه مع الغاية المقصودة لأداء رسالته بين النّاس والمتلقّين عموما.

إذا قلنا الشّاهد البلاغي فهذا من جهة استعماله وموضوعه وليس من جهة نوعه فقد يكون الشّاهد البلاغي قرآنا أو حديثا نبويًّا أو شعرا أو نثرا.

ويعدُّ الشّاهد الشّعريّ الأكثر شيوعًا واستعمالا عند البلاغيّين، بل إنّ البلاغة استمدّت مادّتها الرّئيسيّة من القرآن الكريم أوّلا ثم من الشّعر العربي، فاتّجهت إلى دراسة الشّعراء وصورهم البيانيّة والبديعيّة المبتكَرة، فعمل البلاغيّون في هذه الفترة على رصد ما سبقهم من شواهد صالحة من نماذج الشّعرِ الجاهليِّ والإسلاميِّ كما تناولوا من كان قريبا منهم و مُعايشا لهم.

إنّ السّبب في لجوء البلاغيّين إلى الشّاهد الشّعريّ هو قدرة الشّعر على استيعاب مادّة البلاغة لأنّه المادّة الصّالحة للتّطبيق على ألوان البلاغة، ولأنّ الباعث على القول في البلاغة هو الوُجدان والخيال وذلك أكثر ما يكون جَوَلَانًا في ميادين الشّعر[50].

واختيار الشّاهد الشّعري فاقَ الشّاهد النّثريّ بدرجات كبيرة فقد اتَّجهوا إلى أنّ علوم البلاغة العربيّة لا تظهر بصورتها الواضحة إلاَّ من خلال الشّعر والصّور الشّعريّة الأكثر دلالة ووضوحا في الاستدلال على المظاهر البلاغيّة الّتي يعرضونها.

ولقد حدَّد الباحث فضل حسن عبّاس أهمّ ركنيين للبلاغة.

1. أن يكون الكلام متلائما مع أوضاع المخاطبين.
2. أن يكون مؤثّرا في النّفس حتّى تتفاعل وتتجاوب معه[51]

ممّا يعني أنّ أسباب اختيار الشّاهد الرّئيسة: فصاحة الألفاظ، وبلاغتها الّتي لا ترجع إلى الألفاظ نفسها وإنّما إلى صورتها ومَعْرَضها الّتي تتجلّى فيه، وبعبارة أخرى ترجع إلى نَظمِها وما يُطوى فيها من خصائص[52].

أمّا ما يعرف بالشّاهد المجزَّأ أو المقطوع فقد جاء كوسيلة على الظاهرة البلاغيّة الّتي تَتَبّعها البلاغيّون في ممارساتهم العلميَّة لمفاهيم البلاغة ومظاهرها من خلال اجْتِزَاء الشّاهد : وبالرّغم من كثرة ما ترجم عن الأسلوبيّات والبنيويّات لم نصادف منها ما يتعامل مع النّصوص كاملة تحليلا وتفسيرا وإنّما كان الاجتزاء سمة تميّز الدّراسات البلاغيّة قديمها وحديثها فهي ضرورة يحتّمها المنهج[53].

قراءة الشّاهد واستعماله بين الذّوق والثّقافة العامّة والمنهج

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

لقد بسط القدماء القول في وسائل دراسة القصيدة في إطارها العلمي، فأحكموا دراسة العلاقات بين الكلمات والجمل والأغراض وذكروا ضروبا من العلاقات بين مقاطع الكَلِم، منها اللّفظي والمعنوي وتمَّ تحديد وتعيّين هذه الوسائل على أنْ تَبِين وتَتَبَيَّن علاقات أوائل الكلام بأواخره وتُحلّل طريقة ترتيبه ووجوه تتابعه.

وفي ظلِّ هذا الفقه لطرائق تلاحم الكلم جاهد العلماء في فهم الأسلوب القرآني، والبحث عن سرّ الإعجاز وفهمه وتأكيده للمشكِّكين والمغالطين، ولهذا ظهرت كتب البحث والدّرس اللّغوي عموما والدّرس البلاغيّ خصوصا مليئة بالشّاهد الشّعريّة وكلام العرب كأدلَّة على قواعدهم وتِبْيانًا لما يسعون لتأكيده، فكان الشّاهد في الدّرس اللّغوي أهم وسيلة، فهو الغاية وهو الوسيلة لأنّه أهمّ أداة وأقوى عنصر يُضفي على القاعدة التّأكيد والحجيّة والأحقيّة بالقول والإتّباع.

ولم تكن دراسة الشّعر تمارس بطريقة اعتباطيَّة من دون تعليل وتبرير من تاريخ الثّقافة العربيّة إنّما أصبح الشّاهد الشّعريُّ يُبرّر ويعلَّل وفق وجهة نظر مدروسة، بحيث صارت المعرفة بأصول الخطاب الشّعريّ تتحكّم في هذا التّحليل ولم يقدر العلماء على سحب مزيّة الذّوق في باب الاختيار أو التّبرير أو التّحليل، بل كان ملازما للعقل العربي في العمليّة النّقدية، حتّى في أصعب ظروف تاريخ النّقد العربي سواء المرحلة التّمهيديّة أو ما يعرف بالنّقد الاعتباطي في الدّرس العربي، وهو وصف أقلَّ ما يوصف به أنّه ابتعدَ عن الصّواب أو في مرحلة إعمال العقل والفكر المنطقي وقد قيل أنّ الدّرس البلاغيّ في مرحلة من مراحل ضعفه فقد النّظرة الذّوقيّة في الدّرس وتعامل مع المنطق وهذا ليس له مبرِّر في تاريخ الدّرس اللّغوي العربي.

إنّ النّقد المنهجيَّ المؤسّس على تحليل مُفَصّل يتطلّب ذوقا ونظرةَ عقلٍ، وقد عُرف الذّوق عند العرب واختلفت أو تفاوتت النّظرات العقليّة باختلاف مراحل تطوُّر الدّرس اللّغوي من عصر إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى ومن ناقد إلى آخر.

وعلى هذا الأساس اشترط النّقاد شروطا ووضعوا قيودا واجبة المعرفة في استعمال الشّاهد في الدّرس اللّغويّ أو في تحليلها وفهم معانيها، وكما كان الشّاهد هو الأساس في الدّرس اللّغويّ أو البلاغيَّ على الخصوص فلا بدّ من معرفة طرق قراءة واستعمال وتحليل الشّاهد البلاغيّ، لمعرفة إلى أيّ مدى توقّف عندها أهل البلاغة.

شــروط العمـل بالشّــاهــد :

لقد ذَكر الباقلّانيُّ في كتابه إعجاز القرآن شروطا وقيودا واجبةَ المعرفة لتحليل شعر الشّعراء وفهم معانيه، وهذه الشّروط مهمّة في اختيار الشّاهد البلاغيِّ وحسن توظيفه لأنّ فهم القول وإدراك المراد منه هو سبيل لحسن توظيفه واستعماله، أَذكُر هذه الشُّروط باختصار وهي:

1. **استكشاف القدرة الكامنة في الأحوال اللّغويّة**[54]: وهو جهد عظيم عبّر عنه الجرجانيّ بقوله "وتضع اليد على الخصائص الّتي تعرض من نظم الكلام وتعدّها واحدة واحدة، وتسميها شيئا فشيئا" كي تقف عند كلّ كلمة اسما أو فعلا أو حرفا، وتسأل عن سرِّ الإتيان بها والدّلالة الكامنة من توظيفها والأحوال الّتي تُحيل عليها، ولا يدقّ هذا الباب ولا يَلِجُه إلاّ من له بصيرة في فهم الكلام وحسن تدقيق، يستنطق هذه الأحوال ويفطن لحلِّ

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

رموزها حتّى يخرج من صدفات الكلام لآلئ كَنَزَهَا القائل داخل كلماته فنَفَثَهَا غُلَقًا ولكنَّ البصير فَهِمَها فَفَتَحَهَا وشرَحَها، وهذا الباب إمّا أنْ تكون متحَكِّما فيه متمكّنا منه وإلاّ فأنت في حُكم الخارج عن أهله. ولن تتمكّن من هذا الباب إلاّ بنقطة مهمّة وثانية لما مضى وهي:

2. **معرفة طرائق الشّعراء ومذاهبهم**[55]: فلا يكون النّاقد ناقدا حتّى يعلم طرائق الشّعراء ومذاهبهم في القول فيحدّد الأصول العامّة الّتي يشترك فيها أهل البيان والسّمات الخاصّة الّتي يتفرّد بها كلّ شاعر عن غيره وكلّ عصر عن آخر، لأنّ الشّعراء أبناء عصرهم وزمانهم وإنْ كان شاعر تفرّد في زمنه فلا بدّ من إدراك ذلك أيضا، وأكثر من ذلك زاد الباقلاّني ضرورة أنْ يكون النّاقد عالما بأنساب الشّعر والأدب فيعرف أنّ هذا الشّاعر قد حَذَا حَذْوَ فُلان من الشّعراء وجعله قدوة أو مدرسة له، وهذا لا يكون حتّى يتمكّن من العنصر الآتي وهو:
3. **معرفة تطوّر المذهب الشّعريّ للشّاعر**[56]: وهي معرفة بتفاصيل شعر الشّاعر كاهتمامه مثلا بمفردات الشّاعر ومعانيه وأنّ هذا الشّاعر أخذ الألفاظ وألَـمَّ بها وطار بها في سماء الشّعر، وأنّ ذاك الشّاعر الآخرَ فَعَلَ ذلك بالمعاني ...فلا بدّ من تحديد عناصر احتذاء كل شاعر في دراسة مذهبه الشّعريّ. وأضاف إلى هذه العناصر الثلاثة ذكر النَّمط.
4. **نَمَطُ بناء الشّعر**[57]: ذكر أنّ الشّاعر أو الكاتب قد يتجاوز الألفاظ والمعاني فلا يأخذ منهما شيئا ولكنّه يأخذ طريقة بناء الكلام والأسلوب والقالب والمنهاج وقد سمّاه: النّمط.
5. **معرفة الطّبع**[58]: بالإضافة إلى ما سبق فلا بدّ أن يعرف الطّبع الّذي يخترع البيان مع حدّة الخاطر، بمعنى يعرف نفس الأديب ومعدن موهبته.

ومن يجمع هذه المعارف إلّا من نَفَذَ البصيرة واسْتَحْكَم في فنّ القول وقد قال الباقلاّني:"قد ذهب من يعرف نَقْدَ الشّعر"[59]، هذا القول في زمن خلف الأحمر وأبي عبيدة وقد بقيَ قليل منه في زمنه فليت شعري ما يقول اليوم عن زماننا؟!

لعلّ هذه الشّروط في معرفة الشّعر وفهمه تنعكس مباشرة على معرفة الشّاهد وشروطه ولكنْ شروط معرفته لا شروط العمل به وقد يكون من شروط العمل به أو استعماله ما يحدّد في العنصرين الآتيين:

- ✓ الدّقة في الاستعمال: "أو اختيار الشّاهد المناسب في الوقت المناسب".
- ✓ عدم تكديس الشّاهد في النّص الواحد: فلكلّ مقام مقال.

ولهذا فالدِّقَّة في استعمال الشّاهد موهبة، والقدرة على استيعاب المسائل ومخارجها وإيراد البيت من الشّعر والتَّمَثُّل بالمثل السَّائر في موضعه من أحسن أنواع الكتابة وأعظم فنونها[60].

فقد وعى النّقاد والدّارسون مهمَّة الشّاهد في إيضاح المبهَم، وتأكيد على ما يَرُومُونَه ويَسْعَون لإثباته فكانوا يُضمِّنون الشّاهد في مؤلَّفاتهم بصورة محكمة وطريقة ذكيّة يسْتَمْتِع بها القارئ ويَنجَذِب بقوّة البرهان وحجّيَّة الدّليل ولم يكن لهم هذا إلّا بطول المدارسة للشّواهد وحفظها وفهمها وتحليلها على مراد ما جاءت به لا تعسّفا وتقليدا. فكانت مقالاتهم محكمَةَ الأواصر لا يختلف أوّلها عن آخرها بناءً واحدا يَحكُمُه قِطَع من الشّاهد كأنّها الأساس الّذي بُنِـيَ عليه،

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

ولهذا اشتُرِط في هذا الأساس الصّحة في القول لا التّركيب المتَكَلَّف، والدّقة في الإيراد لا التّكديس المملّ واقتباسٌ دون تحوير يخلُّ بالمعنى أو بَتْر يشوّهِ المبنى.

العرض الأدبيّ للشواهد:

الشّاهد في الدّرس البلاغيّ والنّقديّ على الخصوص له تأثير بالغ الأهميّة في الجانب الجماليّ أو الحُكميّ ولا يزال إلى يومنا مَثَارَ نِقَاشٍ بين البلاغيّين والنّقاد خاصّة في نقد الخطاب الشّعريّ.

وما يلفت النّظر أنّ حركة الشّاهد البلاغيّ خاصة الشّعريّ مازالت مستمرّة من متن إلى تلخيص إلى شرح إلى تهميش ولعلّ جُنوح الدّرس البلاغي إلى التّعليميّة سبب ذلك أي إيراد القاعدة ومثالٌ لإيضاح القاعدة وهكذا. وأحيانا نجد تعسّفا في توظيف الشّاهد لتكون خادمة غير مخدومة خادمة للقاعدة ولو ببترها عن سياقها الّذي وُلِدَت فيه وغير مخدومة لأنّ الشّاهد إنّما هي حجّة للقول والقاعدة وحجّة على قدرة بيان صاحبها ومَلَكَتِهِ في الإبداع والقول.

وإنّ من جماليّة البلاغة جماليّة التّأويل والتّحليل والتّقديم والتّوضيح والتّأثير والتّذوق وهذه الجماليّة انتقلت للشّاهد البلاغيّ فهو البلاغة ذاتها.

- **بيان قيمة الشّاهد: "الشّرحُ والتّحليلُ والتّأويلُ"**

إنَّ الشّاهد البلاغيّ لم يكن جماليّا في التّركيب والتّحسين فحسب بل عبّر أيضا عن جانب وظيفيٍّ في التّعبير عن شؤون النّاس الاجتماعيّة والنّفسيّة والحضاريّة فجميع الشّاهد تَميل إلى الإمتاع والإفادة، ولهذا فإنّ الشّاهد البلاغيَّ ينطوي على عمليّة اختيار مدروسة ومهيّأة تخضع لطبيعة الدّرس وموضوعه بحيث ينظر إليه وفق دلالات متنوّعة ناتجة عن العلاقات والتّراكيب الّتي تميّزه.

ولذلك فإنّ عمليّة اختيار الشّاهد البلاغي واستبصار جوانب الجمال وإبداع القول فيه لا تكفي الغرض المنشود، بل يتطلّب الأمر تعليلا وتبيّينا لمواضع الجمال وكشفها للنّاظرين بالتّحليل والتّفسير والشّرح فالقضيّة ليست جمعا للشّواهد ولا هي النّظرة العَجِلَة لمواطن الجمال، بل الأمر أبعد من ذلك فلا بد من إعمال الفكر وكذا الذّهن لاكتشاف مواطن الجمال ومحاولة تفسيره "إنّ معرفة الفكرة البلاغيّة وحدها لا تُربّي ذوقا بلاغيّا وإنّما يكون ذلك حين تُدخلها في باب التّحليل، ويعمّ بها ولها بناء الكلام يعني تفكّكه أوّلا ثمّ تَبْنِيه على وجه آخر".

- **رفد الشّواهد بأخرى "التّقديم والتّمثيل والتّوضيح":**

إنّ موطن الجمال يتعسّر فهمه في كثير من الأحيان ولا يكفي التّدليل والإشارة إليه فقط بل يتطلب الأمر أحيانا إشارة تلْوَ الإشارة ومثالا بعد دليل وشاهدا بعد شاهد وليس الأمر تِكرارا بل زيادة تأكيد وتوضيح بالأمثلة يتَّضح المطلوب وتنْجَلي غمامة الغموض، وقد يعمد الدّارس والمحلّل لهذه الشّاهد بالتَّفسير والتّحليل ولكنّه يرى من الضّروري إعطاء أمثلة وشواهد أخرى بعد الشّاهد الحجّة وقد يقوم بشرحها على المنوال نفسه أو يترك للقارئ إعادة النّظر فيها كمجال للدّربة وبهذا تَرْسَخ القاعدة المقصودة وتَسْتَوطِن الفكرة.

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

- **عقد الموازنـات " تنبيه المتلقّي وإيقاظ الهمّة والذّوق "**

لقد بدأت البلاغة العربيّة بدايات ذوقيّة كما هو الحال بالنّسبة لحركة النّقد الأدبي وكان الذّوق معيارا نقديًّا ولكنّه أمر معنويٌّ ليس له قياس واضح ولا ضابط محدَّد، فالنّفس تميل للطّرب وجمال التّركيب وقوّة المعنى، وقياس درجات هذه المعايير تختلف باختلاف الطّباع والقدرات الذّهنيّة والفكريّة عند النّقاد وكان هدف كل ناقد ودارس توضيح جماليّات هذا التّركيب عن غيره، وليس أدلّ على ذلك من إعطاء ميزان للقارئ يَزِن بنفسه جمال هذا وقُبْحَ ذاك فكانت الموازنات أحد أهمِّ الوسائل النّقديّة لتوضيح وكشف مواطن الجمالِ اللّغويّ.

فعُقدَت الموازنات بين الشّعراء سواء أكانت لإظهار تفوّق واحدهم عن الآخر أو إظهار وتأكيد على قوّتهم وسُلْطَتهم على البيان كلٌّ بلمسته الخاصّة. وفي الموازنة إيقاظ همَّة المتلقّي وشحذ لنفسه وفكره وتنبيه له على أسرار البيان ومكامن الجمال ودُرَرِ المعاني وحُليّ الألفاظ ليضع عينيه عليها و يتمثّلها.

- **لـمحات نقديّـة أثنـاء العرض والتّحليل:**

يتّبع عرض الشّاهد البيانيّة واختيارها التّحليلَ والشّرحَ ويتطلَّبُ ذلك أمثلة توضيحيّة وقد يلزم الأمر عقد موازنات بين هذه الشّاهد وشواهد أخرى تأكيدا وتبريرا لما يلزم من الأفكار، وبين الأولى والآخرة تتطاير الحلَلُ النّقديّة واللّمحات الفكريّة العقليّة مشيرةً إلى ما يحسنُ وما يقبحُ من الكلام وبأيِّ شيء حَسُنَ أو قبُحَ وكيف يصير هذا وكيف يُتعدَّ ويترك ذاك.

هذه الإشارات النّقديَّة توضّح منهج النّاقد وتشير إلى ملامح النّقد وأُسُسِه في عصر النّاقد بصفة عامّة وبِتَتبُّع هذه الإشارات واللّمحات النّقديَّة نتعرَّف على الحسّ النّقدي عند الدّارسين العرب بصفة عامَّة، وبجمع هذه الوقفات نبني منهج النّقد عندهم.

- **إعمال الذّوق في التّحليل والاختيار:**

إنّ الفهم الصّحيح للبلاغة هو تحليل الشّاهد اعتمادا على الذّوق الأصيل لا فَهْمَ الفكرة أو القاعدة بل الإحساس بها ومعايشتها ولم يكن علم البلاغة علمًا نظريًّا بل مقرونا بالذّوق.

و "الأصل في فضل الكلام وأصل البلاغة هو غزارة المعاني المدلول عليها بالكلمات المعدودة وأنّ المرجع في كلام النّاس إنّما هو إلى ما هو في القلب والعقل ممَّا تعبِّر اللّغة عنه، ثم قدرة المتكلّم على حسن الدّلالة وتمامها فيما له كانت الدّلالة، وهذا هو الفيض الّذي هو في الصّدور"[61]. وكما أنّ لكلِّ معنًى هيأة وسَمتًا في الجملة والبيت صار بالضّرورة لكلّ شِعْرِ شاعرٍ هيأة وسمتٌ وملامح يتميَّز بها عن غيره ولا يلتبس، وأخبار ذلك كثيرة نذكر منها حكاية جرير قالوا:

مرّ جرير على ذي الرّمة وهو يُنشد قصيدته:

نَبَتْ عَيْنَـاكَ عَـنْ طَـلَلٍ بِـحُزْوَى !!! عَفَتْهُ الرِّيــحُ وامْـتَنَـحَ الـقِطَـارَا

فقال جرير: ألا أُنجدك بأبيات تزيد فيها. فقال نعم: فقال:

يَعُـدُّ النّاسِبُون بـني تـميـم !!! بيــوت المَـجـدِ أَربـعَـةً كبــارا

يَعــدُّون الرَّبــَاب وآل تــَيِّـــم !!! وسَعْــدا ثُمَّ حنْطلــة الـــخيارا

ويـذهب بينهـــا الــمَرئِــيُّ لــَغـواً !!! كما ألـغيـت في الدِّيـة الحوار[62]

فوضعها ذو الرّمة في قصيدته، ثم مرّ بالفرزدق فسأله عمّا أحدث من الشّعر فأنشده القصيدة ولمّا بلغ هذه الأبيات قال الفرزدق: ليس هذا من بحرك، قال أهل العلم فاستدركها بطبعه وفطن لها بلطف ذهنه ..."[63].

فالعرب عامّة والشّعراء خاصّة تفطن بالفطرة القدّاحة الوقّادة لبناء الشّعر ومعرفة جيّده من غيره، وهذا ممّا لا بدَّ منه لكل ناقد لأنّه أصل في الاختيار وأصل في التّحليل والتّفسير وأصل في الفهم والاستدراك.

يقول سعد الدّين التفتازاني: " ... بل هذا أمر ذوقيّ فكلُّ ما عدَّه الذّوق الصّحيح ثقيلا متعسِّرَ النُّطق فهو متنافر سواء كان من قرب المخارج أو بعدها أو غير ذلك، ولهذا اكتفى المصنِّف بالتّمثيل ولم يتعرَّض لتحقيقه وبيان سببه لتعذِّر طلبه فالأولى أنْ يحال إلى سلامة الذّوق.

الهوامش:

[1] **ابن منظور**: لسان العرب، تحق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ط، د ت، مصر ، مادّة شهد.

[2] **ابن فارس أحمد**، معجم مقاييس اللّغة، تحق عبد السّلام هارون، دار الفكر للطباعة، 1979 ، باب الشّين والهاء وما يثلّثهما.

[3] **مجمع اللّغة العربيّة**: المعجم الوسيط: إشراف: شعبان عبد العاطي عطيّة وآخرون، مكتبة الشّروق الدّولية،، ط4 ، 2004، ص 497.

[4] **القاسمي علي**: معجم الاستشهادات، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2001، بيروت، لبنان ، ص 19.

[5] **الشّريف الجرجانيّ**، أبو الحسن علي بن محمّد بن علي: **التّعريفات**، تحق محمّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، ط 2، 2003، بيروت ، ص 139.

[6] **المسعوديّ**: علي بن الحسين بن علي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، تح: محمّد محيي الدّين عبد الحميد، مطبعة السّعادة، ط3، 1958، مصر، ج3 ص136.

[7] **العيني**: شرح الأشمونيّ ومعه شرح الشّواهد، دار إحياء الكتب العربيّة، دط، دت، القاهرة، ص 12. وانظر ديوان المتنبي، دط، 1983، دار بيروت للطبع والنشر، بيروت، لبنان، ص58.

[8] **التّهانوي**، محمّد علي:كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحق علي دحروج، مراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، لبنان.، مج01، ص 1002.

[9] نفسه، ص 1447.

[10] معجم الاستشهادات، ص 20.

[11] **عيد محمّد**: الاستشهاد والاحتجاج باللّغة، دار عالم الكتب، 1988، مصر، ص 58.

[12] **بريكان بن سعد السّلوي**: المعايير النّقديّة في ردِّ شواهد الشّعر النّحويّة، رسالة دكتوراه جامعة أمُّ القرى 2001، الجزء الأوّل،ص 13.

[13] نفسه، ص 13.

[14] **الحربي عايد سليم**: الشّواهد الشّعرية في كتاب أسرار البلاغة – توثيق وتحليل بلاغي–، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة كليّة اللّغة العربيّة، 1415هـ المقدّمة.

[15] **الألّوسي**: محمود شكري: إتحاف الأمجاد فيما يصحّ به الاستشهاد، تح: عدنان عبد الرّحمن الدّوري، مطبعة الإرشاد، بغداد 1982، ص64 وما بعدها.

[16] **الميداني**: أحمد بن محمّد: مجمع الأمثال، تحق محمّد محي الدّين عبد الحميد، ط2، 1959، مطبعة السّعادة مصر.مج2،ص294 (

17 **حمّادي صمُّود**: التّفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس هجري، منشورات الجامعة التّونسيّة، دط، 1981، تونس .ص 19.

18 **أبو موسى محمّد محمّد**: المدخل في كتابَيْ عبد القاهر، مكتبة وهبة، ط2، 2010 ، القاهرة ، مصر، ص 49.

19 **درويش الجندي**: النّظم القرآني في كشّاف الزّمخشري، دار نهضة مصر ،دط ، 1969، مصر، ص 11-15.

20 **بسيوني عبد الفتاح فيّود**: دراسات بلاغيّة، مؤسّسة المختار، ط2، 2006، مصر، ص :36،47.

21 **المؤدب محمّد أمين**: الشّاهد البلاغي وإشكاليّة النّموذج، مجلّة الجذور، ج5، مج3، مارس 2010، ص 266.

22 **محمّد نايل**:البلاغة بين عهدين في ظلال الذّوق الأزلي وتحت سلطان العلم النّظري،دار الفكر العربي،دط،1994، القاهرة،ص 128.

23 **يوسف زرقة**: القاعدة والتّذوق في بلاغة السّكّاكيّ، مجلة الجامعة الإسلاميّة، غزّة، مج7، عدد1، جانفي 1999، ص 190.

24 الاستشهاد هو إيراد البيت من الشّعر أو البيتين أو أكثر في خلال الكلام المنثور مطابقا لمعنى ما تقدم من النّثر "**صبح الأعشى**، ج1، ص 274".

25 في أصول النّحو، ص 6.

26 **الكشّاف**، مج 2 ص 411، مج 4 ص 553. وانظر: ديوان ابن مقبل، تح: عزة حسن، دار الشّرق العربي، طبعة 1، 1995، لبنان، ص283

27 **السّيوطي جلال الدّين**،الإتقان في علوم القرآن،تح محمّد أبو الفضل إبراهيم،دار التّراث، دط، دت، القاهرة،مصر.مج 1،ص 120.

28 **الجاحظ**، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، طبعة 2، سنة 1969، مج3، ص 325.

29 نفسه، مج5، ص 590.

30 **ابن عبد ربّه الأندلسي**: العقد الفريد، تح: محمّد مفيد قمّيحة، دار الكتب العلميّة، 1983، بيروت، لبنان، ج1، ص 3.

31 **ابن رشيق القيرواني**:العمدة في محاسن الشّعر وآدابه،تح:محمّد علي النّجار،دار الكتب المصريّة،ط2، 1952، مصر،مج2،ص 236.

32 **السّيوطي جلال الدّين**: شرح شواهد المغني، تح: أحمد ظافر لجنة التّراث العربي، دط، 1966، دمشق سوريا، مج 1، ص 3.

33 **أبو موسى محمّد محمّد**: مراجعات في أصول الدّرس البلاغي، مكتبة وهبة، ط3، 2016، القاهرة، مصر.ص 8.

34 نفسه، ص 96.

35 **أدونيس علي محمّد** ، الثّابت المتحوّل، دار العودة، ط4، 1983، بيروت، لبنان، ص 59-66.

36 **محمّد عابد الجابري**، تكوين العقل العربي، ط3، 1987، المغرب، ص 96.

37 **المؤدّب محمّد الأمين**:**ندوة التّراث المغربي والأندلسي**،التّوثيق والقراءة ، ضوابط فهم الشّعر في شروح الأعلم الشّنتمري، من منشورات كليّة الآداب بتطوان، المغرب، ص 383-393.

38 **ابن الأنباري**: الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمّد محي الدّين ، دار الفكر، ط 4، 1961، مصر، مج 1، ص 300.

39 **فتحي عبد الفتّاح**: ظاهرة الشّذوذ النّحوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط 1، 1974، ص 134

40 **الطّنطاوي محمّد**: نشأة النّحو وتاريخ أشهر النّحاة، الجامعة الأزهريّة، كليّة اللّغة، مطبعة الوادي، ط 4، 1954، القاهرة، ص 182.

41 **محمّد عيد**: الرّواية والاستشهاد باللّغة، عالم الكتب، 1972، مصر، ص 113.

42 نفسه، ص 91.

43 البيان والتّبيّين: 28/3.

44 العمدة: 60/2.

45 **الطّاهر بن عاشور**: موجز البلاغة، المطبعة التّونسية، ط1، دت، تونس، المقدّمة.

46 **السّيوطي** جلال الدّين: الأشباه والنَّظائر، دار الكتب العلميّة، ط1، 1983بيروت، لبنان. 1، المقدّمة 2.

47 **الطّاهر بن عاشور**: التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسية للنّشر، دط، 1984، تونس، مج 1، ج 1، ص 93.

48 العمدة، ص 93.

49 **مصطفى الجوزو**: الشّاهد الشّعري في البلاغة العربيّة، عالم الفكر، ع46، السّنة الثامنة، 1987.

50 **أحمد سامي سليمان**: خطاب التّجديد النّقدي عند أحمد ضيف، مكتبة الآداب ، دط، 2003 ، القاهرة، مصر. ص 250.

51 **فضل حسن عبّاس**: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البديع، دار الفرقان، ط 1، 2004، عمان، ص 13.

المجلد: 07 العدد 02-2021 / ص : 43 - 62
ISSN: 2335-1756-NDL/BNA/4949-2013

[52] **شوقي ضيف**: البلاغة تطوّر وتاريخ، دار المعارف ، ط 4، 1999، القاهرة، ص 164.

[53] **عبد المطّلب محمّد**: البلاغة العربيّة قراءة ثانيّة، مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، 1997، بيروت، لبنان. ص26

[54] **الباقلاّني**: أبو بكر محمّد بن الطّيب بن محمّد بن جعفر بن القاسم، إعجاز القرآن، تح: السّيد أحمد صقر، دط، دت، دار المعارف، القاهرة، مصر. ص113.

[55] نفسه، ص 120،121،122

[56] نفسه، 123

[57] نفسه، ص 124

[58] نفسه، ص 125

[59] نفسه، ص 120

[60] **عبد الرَّحيم ابن علي بن مشيث القرشي**: معالم الكتابة ومغانم الإصابة، دار الكتب العلميّة، 1988، بيروت، لبنان، ص 138.

[61] **الجرجانيّ عبد القاهر**: دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه محمود محمّد شاكر، مطبعة المدني، ط3،1992 القاهرة، مصر ص 115.

[62] **ديوان ذو الرمّة**: اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط1، 2006، بيروت، لبنان، ص 96.

[63] **أبو موسى محمّد محمّد**: دراسة في البلاغة والشّعر، مكتبة وهبة، ط1، 1991، القاهرة، مصر، ص 70.